العنوان:	المصادر الخيالية فى دراسات المستشرقين للقرآن الكريم
المصدر:	مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة إفريقيا العالمية - السودان
المؤلف الرئيسي:	بهاء، محمد
المجلد/العدد:	ع6
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2005
الصفحات:	1 - 41
رقم MD:	677012
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	ACI, IslamicInfo
مواضيع:	الإستشراق والمستشرقون، الدراسات الإستشراقية، القرآن الكريم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/677012

المصادر الخيالية في دراسات المستشرقين للقرآن الكريم

د. محمد بهاء الدِّين حسين(★)

المستشرقون المغرضون ينكرون كون القرآن الكريم وحي الله تعالى، ويترتب على إنكارهم هذا إنكار نبوة ε، ويتبع ذلك قولهم: ببشرية القرآن، وإنه من صنعه، إذاً فهم جادّون في البحث عن مصادر معلوماته، متبعين في هذا البحث منهجاً ظاهرياً، قائماً على التماس النظائر والأشباه، حتى إذا ما عثروا على أدنى شبه بين ما في القرآن وما في غيره، بادروا إلى إصدار حكمهم بأنه هو مصدره ومنبعه ومستقاه.

مهما بذل المستشرقون المغرضون محاولاتهم لجمع والتماس نقط التشابه بين الحقائق القرآنية، والحقائق اليهودية والمسيحية، يكن جهدهم ضائعاً، لأن هذه المحاولات إنما هي تستهدف أولاً وأخيراً النيل من أن يكون القرآن إلهي المصدر، وإلا فلا ينكر أن تعاليم القرآن كانت في الكتب المنزلة السابقة، ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الأَوَّلِينَ﴾[1] ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾[2]، كما أن شهادة علماء بني إسرائيل دليل كاف على صدقها، وأنها من أصل منبع الوحي ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاء بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[3].

(★) أستاذ مشارك بقسم الدِّراسات القرآنية والحديثية بالجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا.

(1) سورة الشعراء، الآية (196).

(2) سورة الأعلى، الآيتان (18-19).

(3) سورة الشعراء، الآية (197).

لكن الاتفاق شيء، والاقتباس شيء آخر، وبينهما فرق كبير، فمما لا ريب فيه أن رسالات الرسل، ودعوة الأنبياء عليهم السلام، من آدم إلى خاتم الأنبياء، تنبع من نبع واحد، وتصدر من مصدر واحد، وإرادة واحدة، كما أنها تهدف إلى غاية واحدة، تتمثل في خير الإنسان، ورفعة شأنه، والعمل لإسعاده، بتطهير نفسه وروحه، وإعداده إعداداً يؤهله، للقاء ربه راضياً مرضياً ... فهذه الرسالات تأتي متفقة كلها، في أصولها إتفاقاً كاملاً في أصول العقيدة، من الدعوة إلى الإيمان بإله واحد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، هو الله سبحانه وتعالى خالق الكون، ولا معبود بحق سواه، وباليوم الآخر، وما فيه من حساب وثواب وعقاب، كما أنها تتفق في الإيمان بكل الأنبياء والمرسلين، والإيمان بما يدعون إليه من أصول العقائد والفضائل والأخلاق، والعبادات والمعاملات، وإن اختلفت تلك الشرائع في بعض الفروع التي قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والظروف، وحسب ما تقتضيه مصلحة الإنسان.

نعم لو لم تمسّ يد التبديل والتحريف التوراة والإنجيل، لكان هناك التطابق التام بينهما وبين القرآن الكريم في أصول العقيدة، ولكان الاختلاف إن وُجد، وجد في فروع الشريعة العملية القابلة للتغيير، حسب الظروف ومتطلبات الحياة والمصالح، لكن الخطأ الكبير الذي وقع فيه أكثر المستشرقين، هو أنهم متفقون على أن القرآن الكريم ليس من عند الله، وأن النبي ε استقى مادة القرآن ولفّقها من الأحبار والرهبان، الذين تلقى منهم المعلومات الدينية من كتب العهدين القديم والجديد، ومن مصادر أخرى.

المستشرقون ومصادر القرآن

المستشرق جولد زيهر:

فهذا أكبر المستشرقين جولد زيهر يقول: فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية، عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها[1].

ويقول: لقد أفاد من تاريخ العهد القديم – وكان ذلك في أكثر الأحيان من طريق قصص الأنبياء – ليذكّر على سبيل الإنذار والتمثيل بمصير الأمم السالفة الذين سخروا من رسلهم الذين أرسلهم الله لهدايتهم، ووقفوا في طريقهم[2].

شأن جولد زيهر في هذه المزاعم وغيرها، شأن الآخرين من المستشرقين الذين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن مصادر القرآن وقصصه، وعن شخصية الرسول ε، وعن الوحي الذي نزل عليه.

يعود سبب عدم تكوين فكرة صحيحة لديهم إلى عدم إدراكهم لحقيقة الوحي القرآني، أو إلى تعصبهم الديني القائم على العداء السياسي، لذا راحوا يبحثون عن دوائر أجنبية مختلفة، ويتخذون منها

(1) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 12.
(2) المصدر السابق، ص 15.

أساساً ومَعيناً لما جاء في القرآن من عقيدة وشريعة، وهكذا نظرتهم إلى جوانب الحضارة الإسلامية كلها.

أما بخصوص ما زعم جولد زيهر من إفادته من تاريخ العهد القديم، فنقول: لقد بشر الرسول ε المؤمنين الطائعين، وأنذر الكافرين المعرضين العاصين، وذكّر بمصير الأمم السالفة، التي خرجت وتمردت على أنبيائها بالقرآن الكريم، الوحي الإلهي، وليس لمدّعي القول: إن الرسول استفاد ذلك من تاريخ العهد القديم والعهد الجديد أيّ برهان على مدّعاه، اللهم إلا برهاناً من نسج خياله وحنكة دسه، ونقول له: إن كنت ناقلاً فهات لنا النقل الصحيح، أو مدّعياً فأين دليلك؟ فإن لم يكن هذا ولا ذاك، فعدم اتباع الهوى والتعصب أولى لك، وأجدر بمقام باحث يدّعي التزام الحيدة، والبحث النزيه المتجرد من التعصب والأهواء، لعلّه – وتحت إلحاح المطالبة بالدليل – يتذرع بالتشابه في بعض جوانب قصص القرآن الكريم، مع ما في أسفار الكتاب المقدس، إلا أن هذا التشابه لا ينهض دليلاً بأي حال من الأحوال، لإصدار هذا الحكم، والخروج بهذه النتيجة، للأسباب الآتية:

[1] أن الرسول ε – كما هو معلوم من حاله –كان أمياً، لم يقرأ ولم يكتب، ولم يتلق من رجال اليهود والنصارى شيئاً، فكيف اقتبس ما في القرآن من الآخرين، إضافة إلى أنّ جلّ قصص الأنبياء وأممهم موجودة في القرآن المكي، الذي نزل قبل الهجرة من مكة، ومكة لم يكن يسكنها اليهود أو النصارى، وحينما قدم الرسول إلى المدينة مهاجراً، كان أول من عاداه هم أحبار اليهود، الذين كانوا يكتمون عنه ما كانوا يعرفونه من الكتاب، كما كتموا عن غيره، فكيف تمكن الرسول من اقتباس معارفه الإلهية، ومبادئه التشريعية من الرهبان والأحبار؟!

إن هذا الادعاء داع إلى السخرية، من جولد زيهر وإخوانه المستشرقين ممن نسجوا على منواله، أكثر من أن يكون مبعثاً للجدل والنقاش.

وزيادة على ذلك إن جولد زيهر يتهم الرسول ε بمعاداة اليهود والنصارى بقوله: كما صار رهبان المسيحيين وأحبار اليهود موضع مهاجمة منه، وقد كانوا في الواقع أساتذة له(1).

من يرجع إلى سيرة الرسول ε، ومتابعة أحداثها، وأخبار التاريخ الصحيحة، يجد أن هؤلاء لم يكونوا موضع مهاجمة إلا بعد أن أعلنوا عداءهم لدعوته، ووقفوا إلى جانب خصومه للتآمر عليه، وبعد أن رفضوا الحوار البنّاء معه، والهادف إلى التوصل إلى معرفة الحقائق المتعلقة بدعوته، فأنزل الله تعالى القرآن الكريم يفضحهم بتحريفهم الكتاب، وكتمانهم العلم، وتآمرهم على الإسلام ورسوله، وليس الرسول ε هو الذي فضحهم.

[2] أن دراسة أخبار القرآن عن غيب الماضي دراسة متأنية، تكشف لنا أن تلك الأخبار إنما جاءت مصححة أخبار تلك الكتب السابقة، التي أصابها التحريف والتغيير والتبديل، على أيدي الأحبار والرهبان، والتي تذكر في حق الله سبحانه وتعالى ذاته وصفاته، ما لا يليق بذاته العلية، وصفاته المقدسة، وتقشعر منه جلود الذين آمنوا حقاً، يبين المستشرق دينيه حقيقة إله المسلمين كما جاء في القرآن الكريم، ويسخر من حقيقة غيره كما جاء في كتبهم، حيث يقول: الدين الإسلامي هو الوحيد الذي لم يتخذ فيه الإله شكلاً بشرياً، أو ما إلى ذلك من الأشكال، أما في المسيحية فإن لفظ "الله" تحوطه تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ، طاعن في السن، قد بانت عليه دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال... ونسمع القوم يصيحون (ليحي الله) ... ولا

(1) العقيدة والشريعة في الإسلام، ص 20.

تعجب لصيحتهم، وهم ينظرون إلى رمز الأبدية الدائمة، وقد تمثل أمامهمشيخاً هرماً، قد بلغ أرذل العمر، فكيف لا يخشون عليه من الهلاك والفناء ؟! فكيف لا يخشون عليه من الهلاك والفناء، فكيف لا يطلبون له الحياة ؟؟!!

كذلك "ياهو" الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي، فهم يجعلونه في مثل هذه المظاهر المتهالكة، وكذلك تراه في متحف الفاتيكان، وفي نسخ الأناجيل المصورة القديمة.

أما "الله" في دين الإسلام الذي حدث عنه القرآن، فلم يجرؤ مصور أو نحات أن تجري به ريشته، أو ينحته أزميل، ذلك أن الله لم يخلق الخلق على صورته تعالى سبحانه، فلم تكن له صورة، ولا حدود محصورة، وهو الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يكن له كفواً أحد(1).

وهكذا تنسب الأخبار في تلك الكتب المحرفة إلى الأنبياء من الأفعال والصفات، ما يحط من مكانتهم الرفيعة، وعصمتهم كأنبياء مصطفين لحمل رسالات ربهم إلى الناس، ويمكن الاطلاع على تحريفهم وتشويهم لسير الأنبياء من خلال الأمول الآتية:

[أ]قصّ علينا القرآن الكريم قصة نوح عليه السلام في الصبر واحتمال الأذى في سبيل دعوته، وأنه من أولي العزم من الرسل، ثم ما رافق ذلك من قصة الطوفان، وما نجم عنه من هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين، بينما نجد قصة نوح عليه السلام وشيئاً من سيرته في سفر التكوين باعثة على الدهشة لما نسب إليه، فقد ورد فيه أنه شرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه، فأبصر حام – كنعان – عورة أبيه، وأخبر أخويه سام ويافث، فأخذا الرداء، ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلي الوراء، وسترا عورة أبيهما، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما

(1) أشعة خاصة بنور الإسلام، ص 6- 25.

استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان عبد العبيد لإخوته، ثم فصل دعوته بأن يكون نسل كنعان عبيداً لنسل سام وعبيداً لنسل يافث.

هكذا الرسول المعصوم يصور، سكر، فعربر، فتعرى، ثم من حاول الإحسان إليه بتغطية عورته، يجازيه باللعنة والعبودية في عقبه إلى يوم الدين.

[ب]قصّ القرآن الكريم قصة صمود النبي لوط عليه السلام ضد الفجور والعصيان والشذوذ الجنسي، وضد الكفر والتمرد على القيم الإنسانية النبيلة، وقد لقي بسبب ذلك أنواع الأذى، وإذا رجعنا إلى سفر التكوين أيضاً وجدنا فيه أن ابنتي لوط قد سقتا والدهما خمراً، فاضطجعت البنت البكر مع أبيها لوط في الليلة الأولى، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، واضطجعت الصغيرة معه في الليلة الثانية...فولدت البكر ابناً ودعته: مؤاب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم، وولدت الصغيرة ابناً دعته: بن عمى، وهو أبو بني عمون إلى اليوم(1).

ومن أراد المزيد فعليه مراجعة الإصحاج السابع والعشرين من سفر التكوين، ليرى العجب العجاب من قصة اسحاق حين شيخوخته مع ابنيه عيسو ويعقوب، وكذلك قصة زواج يعقوب عليه السلام بابنتي خاله، ثم كيف خدع خاله؟! يتضح من هاتين القصتين وغيرهما من القصص الكثيرة الواردة في الكتاب المقدس زيف ادعاءات جولد زيهر وأمثاله، ممن زعموا اقتباس الرسول ε من كتب الآخرين، وتلمذته على رجال الكهنوت اليهودي والنصراني، فما يقارن إنسان عاقل منصف بين قصص القرآن الكريم، وبين قصص الكتاب المقدس إلا ويعلن بكل صراحة أن القرآن وحي الله تعالى، وأن كثيراً مما ورد

(1) الكتاب المقدس، سفر التكوين، الإصحاح التاسع، الفقرة 20- 27 باختصار.

في الكتاب المقدس من تلك القصص أساطير وخرافات لا تمت إلى الوحي بصلة، وأنها من تحريف المحرفين من أهل الكتاب. إن القرآن قد فصّل بعض ما ورد في تلك الأسفار، وتلك الأخبار، وأوضح بعض ما كان فيها مبهماً، وذكر أخباراً لم ترد فيها، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1].

فالفروق الجوهرية بين القرآن الكريم والكتاب المقدس تكاد لا تحصى.

المستشرق رودي بارت:

قد ذهب المستشرق الألماني رودي بارت – على الرغم من ادعائه الالتزام بالموضوعية العلمية والنزاهة البحثية – إلى ما ذهب إليه جولد زيهر في ادعائه تأثير اليهودية والمسيحية على الإسلام، واستقاء الرسول معلوماته منهما[2].

المستشرق الدكتور كيسلنج:

أما المستشرق الدكتور كيسلنج فقد زعم أن الرسول إنما تعرف على اليهودية من يهود يثرب، كما تعرف على المسيحية من بحيرا الراهب، فلفق منهما ديناً جديداً [3].

المستشرق ألفريد جيوم:

أما المستشرق ألفريد جيوم فهو الآخر يؤكد مصدرية اليهودية والنصرانية للإسلام، ويحاول الاستدلال بآية قرآنية استدلالاً خاطئاً على مصداقية ما ذهب إليه، حيث قال: إن بلاد العرب كلها كانت مليئة بمعتنقي ديانتي اليهودية والمسيحية، ولا يعقل أن رجلاً ضاق بدين قومه، وأخذ يجد في البحث عن هداية إلهية، لم يحاول أن يتعرف

(1) سورة المائدة، الآية (51).
(2) المصدر السابق، سفر التكوين، الإصحاح التاسع عشر، الفقرة 30-38 باختصار.
(3) انظر: الإسلام في الفكر الغربي، د. زقزوق، ص 67.

على دين أولئك الذين يدعون إلى عبادة الله الواحد الحق، وفي القرآن آية هامة تتعرض لهذا الموضوع، تقول: "فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك"[1].

ويقول هذا المستشرق: أما حياة الرسول خلال السنوات الخمس عشرة، التي انقضت بين زواجه وبدء دعوته فلا نعرف – لسوء الحظ – إلا اليسير، في أي شيء كان يفكر الرسول؟ من أولئك الذين قابلهم، فاستطاعوا أن يمدوه بمعلومات عن اليهودية والمسيحية اللتين طالب بتصحيح كتابيهما المقدسين؟[2]

ثم يمضي ألفريد قائلاً: لقد أعلن محمد أنه أتى برسالة من عند الله، يؤيد فيها ما أنزل على اليهود والنصارى، ومن الطبيعي أن يتجه تفكيرنا إلى الظن بوجود اتصال بينه وبينهم، ثم قال: لذا اتجه إليهم حين جاهر بنبوته ليطلب تأييدهم، وإن كان لا بد له أن يفعل ذلك باعتباره أحد أفراد قبيلة وثنية يدعو إلى التوحيد[3].

يقول الدكتور عبد الجليل شلبي:قلّما تحدث مستشرق عن القرآن فأغفل أنه مستقى من اليهودية، حتى وصف تايلور الإسلام بأنه يهودية مهذبة[4].

هذه الادعاءات الواردة في كلام ألفريد وغيره قائمة كلها في الأساس على الظن والتخمين، خالية من الأدلة، كما يعترف بذلك ألفريد جيوم نفسه، حينما قال: ومن الطبيعي أن يتجه تفكيرنا إلى الظن بوجود اتصال بينه وبينهم[5].إذًا فمن حقنا أن نسأله: هل يصح إثبات

(1) انظر: المصدر السابق، ص 70.
(2) الإسلام، ألفريد جيوم، ص 31.
(3) المصدر السابق، ص 31.
(4) المصدر السابق، 61.
(5) الإسلام والمستشرقون، ص 69.

الحقائق التاريخية، والركون إلى صحة النتائج اعتماداً على الأوهام والظنون؟! وهل يمكن أن تكون نتائج البحوث ثمرة أوهام وخيالات وظنون؟!

لكن هناك حقيقة صارخة يجب عدم إغفالها، وأن تبقى ماثلة أمام الباحث المنصف، ولا تغيب عن البال، وهي أن جميع المستشرقين المغرضين يرفضون نبوة محمد ε فانطلاقاً من هذا المبدأ ينسبون كل ما هو في القرآن إلى غير الوحي الإلهي المباشر له، بل إلى مصادر متنوعة ومختلفة، ومنها اليهودية والنصرانية.

أما الآن فأعود إلى مناقشة ما جاء في ادعاءات ألفريد جيوم السابقة، فأقول – وبالله التوفيق -: إن القرآن الكريم نفسه يؤكد في آيات عدة أن مصدر الكتب السماوية المقدسة واحد، هو وحي الله تعالى، فالله سبحانه أثبت القرآن الكريم مع سائر الكتب المنزلة من قبله في اللوح المحفوظ وفق علمه الأزلي، فالاختلاف بينها إنما هو اختلاف اللاحق عن السابق في النزول لا الاختلاف في الثبوت والوجود والمضمون، إلا ما كان من صنع البشر وتحريفه، لذا فيجب التطابق والاتفاق بين تلك الكتب في أصول العقيدة والشريعة، والاختلاف إن وجد بينها ففي الفروع الشرعية العملية ليس إلا. فلماذا يحصر ألفريد جيوم، وزملاؤه المستشرقون مصدر معلومات الرسول ε في تلك المصادر، دون المصدر الحقيقي لمعلوماته ومعلومات إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وهو الله سبحانه وتعالى، وكما هو مدون في اللوح المحفوظ؟!

فلماذا يثبتون اتصال موسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما بالله تعالى عن طريق الوحي، وينفونه عن محمد ε؟!

ثم إن لمحمد ε كتاباً، نعتقد أنه من عند الله تعالى، ويرى المستشرقون أنه من عنده، وملفق من مصادر مختلفة، فما لموسى

وعيسى عليهما السلام؟ أليست لهما ولغيرهما كتب من هذا الطراز، ولم تصل إلينا عن طريقهم بهذا الميسم المبين؟ غاية ما هناك صحائف كتبها أناسي كثير، تضمنت نتفاً من تعاليم أولئك النبيين. أو نسأل هذا المستشرق جيوم هل ينكر الوحي جملة؟ إن كان كذلك فلا نبوات ألبتة، وسقطت ديانته قبل أن تسقط ديانة المسلمين التي يهاجمها، فإذا كان دليل إثبات النبوة لموسى وعيسى وغيرهما عليهم السلام لدى جيوم وغيره، هو ما جاءوا به من معجزات، فمعجزة محمد ε العقلية والحسية، هي أكبرها على الإطلاق، وقد تحدى بها الناس جميعاً، فعجزوا عن معارضتها، لما تضمنته من فصاحة ألفاظه، وبلاغة عباراته، وروعة أساليبه، وخفة على اللسان، وحسن وقع على الأسماع، وأخذ بمجامع القلوب، وإخبار عن الغيوب، واشتمال على أخلاق سامية، وحقائق علمية، وسنن كونية، وشريعة مرنة صالحة للتطبيق لكل زمان ومكان، ملبية حاجات الناس الجسمية والروحية والعقلية، هادية إلى سبل السعادة الدنيوية والأخروية، مع سلامة هذا الكتاب المعجز على الرغم من تعدد موضوعاته من التناقض والتعارض ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

لذلك اعترف بعض المستشرقين المنصفين بأن هذه المعجزة ليست من كلام البشر، وإنما هي كلام رب العالمين، يقول موريس بوكاي: إن القرآن أفضل كتاب أخرجته يد الصناعة الأزلية للبشر، ويقول إدوارد أو رسو هارت: أشرق القرآن بصقعهم نوراً ياله من نور! وهو نور حكمة القرآن الذي أنزله الله على صدر نبيه المبعوث لا محالة لإرشاد البشر، وأبقى لهم دستوراً لن يضلوا به أبداً، وهو القرآن الجامع لمصالح دنياهم وأخراهم[1].

---

(1) الإسلام، ص 61.

فلا أرى هذا الموقف من المستشرقين المغرضين اتجاه مصدر القرآن الكريم إلا موقف معاند ومتعصب ومكابر، يخرج بصاحبه عن المنهجية العلمية السليمة، وعن النزاهة البحثية.

أما الآية القرآنية السابقة التي استشهد بها ألفريد جيوم لدعم مذهبه، في قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ﴾ فلا أرى أنها تصح له دليلاً من قريب أو بعيد، إذ الآية لا يعدو كونها تثبيتاً لفؤاد النبي ε وتأكيداً على أن ما تلقاه إنما هو وحي الله تعالى الذي خص به أنبياء ومرسلين من قبله، فهو ليس بدعاً من الرسل، وأن القرآن ليس هو أول كتاب منزل من عند الله تعالى، وأن أهل الكتاب يعلمون ذلك، فأي شيء في أن يسألهم رسول الله ε عن هذا؟! ولم يحصل للرسول شك في أمر رسالته، وما يتلقاه من وحي ربه، فأداة الشرط في الآية السابقة (إن) لا تفيد إلا ربط الجواب "فاسأل" بالشرط "كنت في شك..." فقط، ولا تفيد وقوع الشرط فعلاً وهو حصول الشك، كما فهم ألفريد جيوم، فلم يكن الرسول شاكاً في المنزل عليه من ربه، أما الأمر بالرجوع إلى اليهود والنصارى وسؤالهم فلوجهين:

الوجه الأول: أن نعت النبي εكان مذكوراً في التوراة والإنجيل، فكان بعض أهل الكتاب يظهر ذلك مثل عبد الله بن سلام وغيره، وإن كتم بعض آخر منهم، وكان ذلك من أكبر الدلائل على صدق الرسول في دعوى النبوة.

الوجه الثاني: أن الله تعالى أمره أن يرجع إليهم في كيفية ثبوت نبوة سائر الأنبياء، حتى يزول الوسواس في كونه نبياً، لأنه أمر أن يأتي بمثل ما أتى به من قبله من المعجزات.

وهناك احتمال آخر في تفسير الآية، يدحض كل ما بنى عليه ألفريد جيوم توهمه السابق، وهو أن الخطاب في الآية وإن كان متوجهاً إلى النبي يجوز أن لا يكون المراد منه هو[1].

المستشرق بروكلمان:

أما المستشرق بروكلمان فقد ضرب هو الآخر على نفس الوتر، وربما بشكل جعله أبعد من ألفريد جيوم عن الحقيقة والواقع حينما قال: وليس من شك في أن معرفته – يقصد رسول الله – بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية إلى أبعد الحدود، وحافلة بالأخطاء، وقد يكون مديناً ببعض هذه الأخطاء للأساطير اليهودية، التي يحفل بها القصص التلمودي، ولكنه مدين بذلك أكثر ديناً للمعلمين المسيحيين، الذين عرفوه بإنجيل الطفولة، وبحديث أهل الكهف السبعة، وحديث الأسكندر، وغير ذلك من الموضوعات التي تتواتر في كتب العصر الوسيط[2].

وقد سبق لبروكلمان أن قال: وتذهب الروايات إلى أنه – أي النبي – اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد كبير[3].

هناك حقيقة حول القصص القرآني، ينبغي لمن يدرس هذه القصص أن لا يتجاهلها أو يجهلها، وهي أن القصص في القرآن الكريم إنما جاءت للعبرة في الدرجة الأولى، وللتاريخ في الدرجة الثانية، من أجل ذلك، ولطبيعة خاصية القرآن الإعجازية لم ترد فيه

(1) انظر: المعجزة الخالدة، هبة الدين الشهرستاني، ص 27.

(2) انظر: عصمة الأنبياء، فخر الدين الرازي، ص 124.

(3) انظر: تاريخ الشعب الإسلامية، بروكلمان، ص 39.

تفاصيل وجزئيات تلك القصص بشكل يحيط بكل أطرافها، لعدم الحاجة والفائدة من ذكرها في باب العظة والعبرة. أما ما يظنه بعض المستشرقين، والكتاب الغربيون خطأ في فهم الإسلام لمادة الإنجيل، فراجع إلى أن القرآن قد تضمن آراء طوائف مسيحية، اضطهدها ملوك النصارى وباباواتهم.

أما ما ذكره بروكلمان من اتصاله ε في بعض رحلاته باليهود والنصارى، وأخذه عنهم، فترده الحقيقة التاريخية المتمثلة في أنه لم يثبت أنه ε اتصل بأحد منهم في رحلاته سوى مرة واحدة، على فرض صحة الرواية الواردة في ذلك[1] وكان سن الرسول دون الثالثة عشرة من عمره مع عمه أبي طالب في الشام، حيث التقى به بحيرا في معية عمه وآخرين من قريش، ولم يتلق عنه أي درس أو عظة أو تعليمات أو ما شابه ذلك، ومرة ثانية في الخامسة والعشرين من عمره ذهب بتجارة خديجة إلى الشام، ولم يحصل له أي اتصال برجال الكهنوت من اليهود والنصارى[2].

هذه كل الحقيقة حول اتصالاته المزعومة برجال الدين اليهود والمسيحيين، هكذا يزعم المبشرون والمستشرقون أن الرسول ε تلقى معلوماته التي تتناول أدق مسائل العقيدة والشريعة في تلك الرحلات القصيرة، ومن خلال ساعات من أولئك الأحبار والرهبان من اليهود والنصارى، ولكنها مع ذلك خاطئة وناقصة.

إننا لا ننكر أن بعض المعلومات في القرآن تشبه بعض المعلومات الواردة في التوراة والإنجيل، لأن المعين واحد، ولكننا

(1) حيث هناك من رأى أن لا أساس لهذه الرواية من الصحة، انظر:مدخل إلى القرآن الكريم، دراز هامش، ص 134.

(2) انظر: مناهج المستشرقين، ج1، ص 31.

ننكر على المستشرقين قولهم: إن الرسول فهم هذه المعلومات الواردة في القرآن فهماً خاطئاً، أو استقاها من مصادر غير موثوق بها، لأن معلوماته مصدرها وحي الله تعالى عن طريق جبريل عليه السلام، فهو معلمه وليس له معلم آخر غيره.

لكن القضية قضية تعصب وتجاهل عن الحقيقة والواقع، وتغافل عن الأخبار والروايات التاريخية الصحيحة، وتباعد عن دراسة التاريخ وأحداثه بموضوعية ونزاهة، لقد صدق من قال: أقلام المستشرقين وألسنتهم تتحول حينما يتحدثون عن القرآن والرسول والإسلام إلى حراب ومعاول بدافع الحقد والتعصب.

المستشرق بلاشير:

هذا المستشرق على الرغم من إظهاره الاعتدال في أحكامه، يتحدث في كتابه "معضلة محمد" عن القصص القرآني فيقول: وقد كان التأثير المسيحي واضحاً في السور المكية الأولى، إذ كثيراً ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كإنجيل الطفولة الذي كان سائداً في ذلك العهد عن شبه قوي[1].

ويتحدث في كتابه "القرآن" عن تصورات العالم البيزنطي عن مصدر القرآن في العصر الوسيط قائلاً: وكانوا يتصورون دعوة محمد عمل منشق يدعي أنه ملهم من الله، بينما كان في الواقع قد تلقى تعاليمه من راهب خارج عن العقيدة القويمة[2].

---

(1) كتاب "القرآن.."، ص 11-12.

(2) (آريوس 270- 336م)ولد في الإسكندرية وكان قسيساً بها، وقد عارض أسقف الإسكندرية الذي كان يذهب إلى القول بأن المسيح ابن الله، وأنه مساو للأب، وأن له طبيعة وذاتاً واحدة مع الأب، أما آريوس فقد ذهب إلى القول بان المسيح غير مساو للأب في الجوهر والعظمة، وأنه مخلوق بإرادة الأب حادث غير أزلي...وقد تبعه كثيرون. ثم عقدت عدة مجامع الكنيسة لمناقشة آرائه، فقد كانت الغلبة لخصومه الذين جعلوا من المسيح إلهاً، وقالوا بالتثليث، وعلى الرغم من ذلك فقد انتشرت

هكذا يرى بلاشير كغيره أن الرسول ε قد تلقى تعاليمه من راهب منشق من أتباع آريوس[1]، أما هذا الخارج والمنشق عن الكنيسة فهو بحيرا.

إن بلاشير كغيره من المستشرقين يصرون على تضخيم القضية إثر مقابلة رسول الله ε القصيرة لبحيرا والتي لا تتعدى ساعة، رغم أنه لا يوجد سند صحيح لذلك في نظر المستشرق هوارت في بحث له حول هذا الموضوع، الذي قال: لا تسمح النصوص العربية التي عثر عليها، ونشرت وبحثت منذ ذلك الوقت بأن نرى في الدور المسند إلى هذا الراهب السوري إلا مجرد قضية من نسج الخيال[2].

أما حقيقة هذه القصة وما جرى – كما تفيد الروايات – فلا تتعدى أن راهباً نصرانياً يدعى بحيرا، كانت له صومعة في بصرى من أعمال الشام على طريق القوافل، وقد مر به محمد ε، وهو دون الثالثة عشرة من عمره مع عمه أبي طالب، فعرفه ببعض ملامحه، وقال: سيكون لهذا الغلام شأن عظيم، وأوصى عمه بحمايته[3].

هذه خلاصة هذه القصة، وكل ما جرى بينه وبين بحيرا، فأي علم، وأي عقيدة، وأي شريعة يمكن اقتباسها وتلقيها في سويعات مع صغر سن النبي ε، وفي معية أناسي كثير، لو حصل شيء من ذلك لما سكتوا عنه بعد إعلانه نبوته وبينهم من لم يؤمن به رسولاً؟!!

إنهم يتهمون الرسول ε بما لا يقبله عقل عاقل.

تعاليمه بعد موته أكثر مما انتشر في حياته. انظر: دائرة المعارف، البستاني، فؤاد أفرم، المجلد الأول، ص 194. بيروت: - لبنان، 1975م.

(1) انظر: مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبد دراز هامش، ص 124. والاستشراق والخلفية الفكرية ، د. محمود زقزوق، ص 85.

(2) انظر: سيرة ابن هشام، ج1، ص 191. وما بعدها والفصول في سيرة الرسول، ابن كثير، ص 10.

(3) الإسلام والمستشرقون، د. شلبي، ص 31.

المؤرخ فليب حتى:

قد ذهب بعض المستشرقين وجاراهم المؤرخ الدكتور فليب حتى إلى أن محمداً استقى معلوماته من مصادر كثيرة منها: صاحباه صهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وزوجه مارية القبطية(1).

أي تجاهل هذا عن حقائق التاريخ، بل أي تجن عليها؟! إذ من المعلوم أن صهيباً الرومي إنما هو عربي، سبته الروم طفلاً، وباعته، ونشأ بمكة، ولم يذهب إلى بلا الروم، كما أن الدولة البيزنطية لم تكن دولة مهتمة بالعلم والتعليم حتى يقال: إنها وفرت التعليم للكل حتى شمل الصبيان العبيد، وقد ورد في رواية أن صهيباً هذا إنما نشأ في العراق(2).

فكيف تكون ثقافة طفل مصدر معلوماته؟!

أما سلمان الفارسي τ فقد اتصل بالمسلمين بعد الهجرة، وقد نزل قبل الهجرة ثلثا القرآن تقريباً، ورحلته معروفة في التاريخ بأنها كانت بحثاً عن الحقيقة، وأسلم بعد أن أعلن الرسول دعوته بأكثر من خمسة عشر عاماً (3).

فكيف كان سلمان الفارسي مصدر معلوماته، وقد نزل على الرسول أكثر القرآن قبل لقائه به؟!

ثم كيف آمن به سلمان ولم يكشف للناس حقيقته لو كان الأمر كما يزعمون؟!

أما مارية القبطية رضي الله عنها فقد أهداها إياه المقوقس، والقصة معروفة، وكان ذلك في الفترة الأخيرة من بعثة الرسول، حينما كان الرسول يرسل كتبه إلى الملوك والحكام، يدعوهم فيها إلى

(1) انظر: الإصابة 4104، ج2، ص 195.
(2) انظر: سيرة ابن هشام، ج1، ص 228، وما بعدها.
(3) تنوير الأفهام في مصادر الإسلام، ص 29-30.

الإسلام، وقد كانت مارية رضي الله عنها رقيقة، لا علم لها ولا ثقافة، فكيف تكون مصدر معلوماته ε.

المستشرق سنكلير الإنكليزي:

أما المستشرق الدكتور سنكلير الإنكليزي فقد ألف كتاباً تحت عنوان "تنوير الأفهام في مصادر الإسلام" والعنوان الجديد بهذا الكتاب هو "تضليل الأفهام في مصادر الإسلام" جمع المؤلف فيه كل ما قيل وما يقال من مفتريات حول معلومات النبي ε، كما أضاف إليه مصادر جديدة، جاد بها خياله الفياض بالأكاذيب والأوهام، فقد جاء في كتابه زعمه: لما شرع محمد في ادعاء النبوة، وبذل ما في وسعه وإمكانه من المساعي، لإبعاد قومه من عبادة الأصنام، وإرجاعهم إلى دين إبراهيم، لم يكن عند العرب كتاب وحي إلهي يعول عليه جميع قبائل العرب قاطبة بلا استثناء، أو يتخذونه قانوناً أو دستوراً لهم، فلهذا السبب كان يصعب جداً إصلاح ما فسد واختل من ديانتهم، وكان رأب الصدع في غاية الصعوبة، ومع ذلك فقد كان بينهم في تلك الأيام ثلاث طوائف، كان متداولة بينهم كتب دينية، قد كان لكل طائفة من هذه الطوائف نفوذ وشأن في الديانة الإسلامية، التي كانت في ذلك العصر شبيهة بطفل مولود حديثاً ملفوف بالأقمطة، أما هذه الطوائف أشرنا إليها فهي ملة الصابئين وأسباط اليهود والنصارى[1] ويمضي قائلاً : إنه تعلم من اليهود وأخذ عنهم كل ما أمكنهم أن يفيدوه عن دين إبراهيم، فكان الاقتباس يتناول جوانب كثيرة[2].

(1) المصدر السابق، ص 33، وما بعدها.
(2) المصدر السابق، ص 145.

ويقول: كما يسهل على كل عالم إقامة الدليل على أن القرآن أخذ أشياء كثيرة أخرى من كتب جهلة المسيحيين الكاذبة، ومن تأليف أصحاب البدع الساقطة[1]. ويستخلص من ادعائه هذا فيقول: والحاصل أنه لا يمكن إنكار ما ذهب إليه المعترضون من أن الإنجيل وما في كتب المسيحيين ولا سيما أصحاب البدع الباطلة هي أحد مصادر تعاليم الديانة الإسلامية، فأخذ منها محمد ما أخذه[2].

كما ادعى أن الرسول ε تأثر في تعاليمه بآراء زيد بن عمرو، حيث زعم قائلاً : فكل من له اطلاع على القرآن والأحاديث... يرى أن آراء زيدبن عمرو أثرت تأثيراً مهماً جداً في تعاليم محمد، لأن كل الآراء التي ذهب إليها زيد نجدها في ديانة محمد أيضاً، وهذه الآراء هي: منع الوأد، رفض عبادة الأصنام، الإقرار بوحدانية الله، الوعد بالجنان، الوعيد بالعقاب في سعير جهنم، اختصاص المولى بهذه الأسماء، وهي الرحمن، الرب، الغفور[3].

المستشرق كليمان هوار:

مصدر جديد آخر يكتشف خيال المستشرق كليمان هوار لمعلومات الرسول ε فقد زعم أنه اكتشف مصدراً جديداً للقرآن: وهو شعر أمية بن أبي الصلت[4] وقارن بينه وبين آيات من القرآن، فاستنتج صحة هذا الشعر بما يلاحظ من فروق بين ما ورد فيه، وما ورد في القرآن من تفصيل بعض قصصه، كأخبار ثمود وصالح، مستدلاً على ذلك، بأن لو كان هذا الشعر منحولاً لكانت المطابقة تامة بينه وبين

---

(1) المصدر السابق، ص 137.

(2) المصدر السابق، ص 198.

(3) هو شاعر عاش في عصر الجاهلية والإسلام، وكان يخبر أن نبياً يبعث قد أطلّ زمانه، مؤملاً أن يكون هو ذلك النبي، فلما بلغته بعثة الرسول ε كفر حسداً، وكان رغب عن عبادة الأوثان، ولما أنشد الرسول شعره قال آمن لسانه، وكفر قلبه، وكان يحكي في شعره قصص الأنبياء. انظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص 449.

(4) انظر: الأدب الجاهلي، طه حسين، ص 142، نقلاً عن مجلة الآسيوية سنة 1904م.

القرآن، ثم يزعم أن استعانة النبي به في نظم القرآن حملت المسلمين على مقاومته ومحوه، ليستأثر القرآن بالجدة، وليصح أن النبي قد انفرد بتلقي الوحي من السماء[1].

وقد تولى الرد على فرية كليمان هذه الدكتور طه حسين بقوله: أنا أعجب كيف يتورط العلماء أحياناً في مواقف لا صلة بينها وبين العلم؟! والغريب من أمر المستشرقين في هذا الموضوع وأمثاله أنهم يشكون في صحة السيرة نفسها، ويتجاوز بعضهم الشك إلى الجحود، فلا يرون في السيرة مصدراً تاريخياً صحيحاً، وإنما هي عندهم – كما ينبغي أن تكون عند العلماء جميعاً – طائفة من الأخبار والأحاديث تحتاج إلى التحقيق والبحث العلمي الدقيق، ليمتاز صحيحها من منحولها، هم يقفون هذا الموقف العلمي من السيرة، ويغلون في هذا الموقف، ولكنهم يقفون من أمية بن أبي الصلت وشعره موقف المستيقن المطمئن، مع أن أخبار أمية ليست أدنى إلى الصدق، ولا أبلغ في الصحة من أخبار السيرة، فما سر هذا الاطمئنان الغريب إلى نحو من الأخبار دون النحو الآخر؟!

أيمكن أن يكون المستشرقون أنفسهم لم يبرءوا من هذا التعصب الذي يرمون به الباحثين من أصحاب الديانات؟![2]

ثم يردف طه حسين ذلك قوله: ولست أدري قيمة هذا النوع من البحث، فمن الذي زعم أن ما جاء في القرآن من الأخبار كان كله مجهولاً قبل أن يجيء القرآن به؟ ومن الذي يستطيع أن ينكر أن كثيراً من القصص القرآني كان معروفاً بعضه عند اليهود وبعضه عند النصارى، وبعضه عند العرب أنفسهم؟ وكان من اليسير أن يعرفه النبي كما كان من اليسير أن يعرفه غير النبي من المتصلين بأهل

---

(1) المصدر السابق، ص 143.

(2) المصدر السابق، ص 144-145.

الكتاب، ثم كان النبي وأمية متعاصرين، فلم يكون النبي هو الذي أخذ عن أمية ولا يكون أمية هو الذي أخذ عن النبي ؟![1]

وأضيف إلى ما ذكره الدكتور طه حسين القول: إن كان النبي هو الذي أخذ من أمية بن أبي الصلت، فلم سكت أمية نفسه عن ذلك بعد رفضه الإيمان بنبوة محمد ε؟ وإن سكت هو عن ذلك لسبب ما، فلم سكت الآخرون عن ذلك من معارضي دعوة محمد ε من قريش وغيرهم من أهل الكتاب والمنافقين؟!

المسألة مسألة تعصب وحقد وتحامل وعداء، وإلا فلماذا يتحدثون عن تبعية الإسلام للأديان والمذاهب الأخرى، ويصرون على ذلك دون أن تكون لهم أدلة مقنعة يمكن الاستناد إليها؟

لماذا لا يكون الإسلام ديناً أصيلاً مأخوذاً مباشرة عن طريق الوحي من النبع نفسه الذي أخذت عنه الديانات السماوية الصحيحة؟!

وهل مبدأ جواز اتصال السماء بالأرض عن طريق الوحي مبدأ مسلم به أو لا؟ فإذا كان المبدأ مسلماً به، فلا معنى لأن يكون هذا الاتصال خاصاً باليهود والنصارى، وحكراً عليهم، وممنوعاً على غيرهم، وإذا لم يكن المبدأ مسلماً به فلا مجال للديانات كلها. ثم كيف يكون القرآن مأخوذاً من الكتب الأخرى، وعند المقارنة بينه وبينها تبدو الفروق واضحة في جوانب عديدة، وأن القرآن قد جاء بما هو أعلى وأوسع وأكمل من كل المعلومات الواردة فيها، وأن فيه من الإعجاز، ما ينفي نفياً قاطعة تبعيته لغيره كما يشهد بذلك كل من يدرسه دراسة موضوعية مجردة من الأهواء والتعصب من المسلمين وغيرهم؟!

---

(1) سيكلوجية القصة في القرآن، د. التهامي، ص 76.

فهذا زعم لا أساس له في عالم الواقع، اللهم إلا في عالم الخيال الذي يعيشه المستشرقون، وهم يدرسون الإسلام كتاباً ورسولاً وأمة وحضارة، لسبب بسيط وهو أن النبي ε الذي أنزل الله عليه القرآن، كان أمياً ويعيش في أمة أمية، لم يكن يعرف القراءة والكتابة حتى يمكن الزعم بأنه اطلع على ما جاء في كتب الآخرين، كما أنه لم يتلق دروساً على أحد، مع الجزم بأن التوراة والإنجيل لم يرد في أحدهما بل في مجموعهما مثل هذا النظام الذي جاء به القرآن الكريم، فالقرآن في مفهومه للتوحيد والتنزيه يختلف عنهما، فضلاً عما قدمه من مناهج شملت منهج المعرفة، ومنهج السنن الكونية، وسنن الحضارات والأمم، فإن ذلك كله لا يوجد فيه شيء ذو بال في كلا الكتابين اللذين زعم أن النبي اطلع عليهما فاقتبس منهما.

وقد عارض المستشرق السويدي تور أندريه طريقة هؤلاء المستشرقين في البحث عن مصادر الإسلام بقوله: فالقرآن لا ينكر صلاته بالديانات اليهودية والمسيحية، وعقائد الحنيفية، وتقاليد العرب القدماء، ولكن ذلك لا يعني أنه مجرد مجموعة من هذه العناصر[1].

المستشرق مونتجومري:

أما المستشرق الإنكليزي مونتجومري فقد عقد فصلاً في آخر كتابه (محمد) بعنوان هل كان محمد نبياً؟ وانتهى فيه إلى القول: إن محمداً كان شديد الإخلاص لدعوته، شديد الثقة في نفسه، فكان إذا حدثت حادثة في حياته، أو اعتقد أن شيئاً ما صالح، انفعلت نفسه بما حدث أو اعتقد، فيصوغه في كلام قرآني، ثم يعتقد هو نفسه أن هذا كلام الله أوحي إليه، فيقدمه للناس على أنه كلام الله[2].

---

(1) الإسلام والمستشرقون، د. شلبي، ص 34.

(2) انظر: نظرات استشراقية في الإسلام، د. غلاب، نقلاً من الجزء الأول من كتاب "محمد ونهاية العالم" لكازانوفا.

يتبين من كلام هذا المستشرق أن رفضه لنبوة محمد ε هو الذي حمله على هذا الخطأ في نسبة القرآن إليه، على الرغم من أنه لم ينسبه إلى مصادر خارجية، كما ذهب إليه المستشرقون الآخرون.

نسوق بالمناسبة رأي المستشرق (كازانوفا) الذي أصاب كبد الحقيقة حينما قال: إن محمداً وأصحابه قد أوضحوا بعناية تامة الفرق بين آرائه وإدراكاته للحياة الواقعية من جهة، وتعاليم السماء من جهة أخرى، وقد ظلت هذه الفروق خالدة في الإسلام، الذي لا يخلط بين القرآن والسنة، بل إنه في السنة نفسها يفرق بين ما له صفة الموحى به، وما هو شخصي لمحمد[1].

مما سبق اتضح لنا تهافت ادعاءات المستشرقين ومزاعمهم حول مصدر القرآن الكريم، أمام الحقائق التي يستحيل طمسها بمحاولات أولئك أدعياء العلم والموضوعية والنزاهة، هكذا يمكن القول: إن أكثر المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن مصدر القرآن الإلهي وقصصه، وعن شخصية الرسول، يرجع ذلك إلى عدم إدراكهم لحقيقة الوحي القرآني، وإلى تعصبهم الديني والسياسي، وإلى تغاليهم في النظرة التاريخية، ومحاولة إرجاع كل شيء في القرآن الكريم، وبخاصة قصصه إلى دوائر ومصادر أجنبية مختلفة، وفي مقدمتها كتب العهدين، وحتى إلى الشعر الجاهلي، والزرادشتية.

أما القلة القليلة منهم – أعني المعتدلين المتسمين بالإنصاف والتجرد من الأهواء في دراستهم وبحوثهم عن مصدر القرآن – فقد توصلوا إلى قول الحق الذي لا ريب فيه، ومنهم:

---

(1) دين الإسلام، د. لينز، ص 4-5.

[1] الدكتور لينز الذي يرفض أن يكون محمد ε قد اقتبس من اليهودية والنصرانية بقوله: بقدر ما أعرف من ديني اليهود والنصارى أقول: بأن ما عمله محمد ليس اقتباساً بل قد أوحي إليه، ولا ريب بذلك، طالما نؤمن أنه قد جاءنا وحي من لدن عزيز حكيم، وإني بكل احترام وخشوع أقول: إذا كانت تضحية الصالح الذاتي، وأمانة المقصد، والإيمان القوي الثابت، والنظر الصادق الثاقب بدقائق وخفايا الخطيئة والضلال، واستعمال أحسن الوسائل لإزالتها، فذلك من العلامات الظاهرة الدالة على نبوة محمد، وأنه قد أوحي إليه.(1) ويقول: الديانة النصرانية التي ود محمد إعادتها لأصلها النقي، كما بشر بها المسيح، فإنها تخالف التعاليم السرية التي أذاعها بولص، والأغلاط الفظيعة التي أدخلها شيع النصارى.

[2] الدكتورة فاجليري التي تقول: وما زال لدينا دليل آخر على الأصل الإلهي للقرآن هو:أن نصه ظلّ ثابتاً طوال القرون الطويلة، منذ نزوله إلى اليوم، وسيبقى بمشيئة الله طالما بقي العالم(2).

[3] الدكتور موريس بوكاي الذي يقول: نجد فيما يتعلق بالموضوعات الواردة في التوراة والقرآن فروقاً شديدة تدحض كل ما قيل ادعاء – ودون أدنى دليل – عن نقل محمد للتوراة(3).

ويقول: صحة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل، ولا يشترك مع نص القرآن في هذه الصحة، لا العهد القديم ولا العهد الجديد(4).

---

(1) المصدر السابق، ص 5.

(2) تفسير الإسلام، د. فاجليري، ص 35.

(3) انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، موريس، ص 286.

(4) المصدر السابق، ص 151.

[4] توماس كارلايل الذي يقول: نحن سمينا الإسلام ضرباً من النصرانية، ولو نظرنا إلى ما كان من سرعته إلى القلوب، وشدة امتزاجه بالنفوس، واختلاطه بالدماء في العروق، لأيقنا أنه كان خيراً من النصرانية، التي كانت تصدع الرأس بضوضائها الكاذبة، وتترك القلب ببطلانها قفراً ميتاً، على أنه كان فيها عنصر من الحق، ولكنه ضئيل جداً، وبفضله فقط آمن الناس بها، وحقاً إنها كانت ضرباً كاذباً من النصرانية كالدعي بين الأصلاء(1).

ومهما يكن من أمر، فإن هناك من الأدلة القاطعة ما يفوق الحصر، يدل على أن القرآن الكريم إنما هو وحي الله تعالى غير مقتبس من التوراة والإنجيل وغيرهما، مما يحلو للمستشرقين القول بأنه مصدره، وبالتالي إنه من صنع بشري.

أما المنهج الذي درج عليه هؤلاء فلا يعدو كونه منهجاً ظاهرياً، قائماً على التقاط وتجميع نقاط التشابه ولو من بعيد بين القرآن وغيره، ثم الخروج باستنتاج مفاده أن القرآن اللاحق قد أخذ من الكتب والمصادر السابقة. هذه النقاط من التشابه لا تنهض بأي حال دليلاً على الاقتباس والأخذ والتبعية، وقد أسهبنا الحديث في الرد عليهم سابقاً، واستطعنا تمزيق دعاواهم الباطلة في القول ببشرية القرآن الكريم، ونازلناهم في ميدان الجدال العلمي وجهاً لوجه بالأدلة الساطعة، واستنتجنا من كله حقدهم الأسود على الإسلام كتاباً ورسولاً، وعداء سافراً منهم للإسلام والمسلمين.

وتمكنا من استخلاص النتائج العلمية الآتية، على ضوء دراستنا السابقة حول آراء المستشرقين الخاصة بمصدر القرآن الكريم:

---

(1) الأبطال، كارلايل، ص 59.

[1] لو كانت التوراة والإنجيل من مصادر القرآن الكريم – كما يزعمون –لكان اليهود أعرف الناس بهذا، وهم من هم حكراً وحقداً وحسداً على الرسول ε، ولقد كانت صداقتهم للمشركين وتحالفهم معهم فرصة سانحة لمساعدتهم في الطعن بوحي القرآن، وبيان مشابهته للتوراة، وأنه مقتبس منها، ولما لم يحصل شيء من هذا بطل ما يزعمون، بل شهد بعض كتاب الغرب بفساد رأي المستشرقين هذا. يقول العالم أرتست في كتابه "الإسلام والمسيحية الحقيقية": إن العقيدة والنظام الديني الذي جاء في الأناجيل ليس الذي دعا إليه السيد المسيح بقوله وعمله، إن مرد النزاع القائم اليوم بين المسيحية وبين المسلمين، ليس إلى المسيح، بل إلى دهاء بولص، ذلك المارق اليهودي المسيحي، وشرحه الصحف المقدسة على طريق التجسيم، وإن بولص هو واضع ذلك المزيج من القصص والأحاديث المتعارضة، ومن هنا فإن هناك اختلافاً أساسياً من حيث الأسلوب، لأن لكل إنجيل كاتباً (لوقا، متى، يوحنا، مرقص، برنابا) ومن هنا جاء القرآن مخالفاً لهذه الأناجيل والتوراة مادة وأسلوباً (1).

[2] المفارقات بين ماضي حياة الرسول ε وقبل البعثة وبعدها تشهد بأن القرآن الكريم لم يكن إلا وحياً من الله تعالى، وأن محمداً الموحى إليه لم تكن له ولديه هذه المقدرة العجيبة على التأثير في نفوس الناس إلا بقدر ما أثر الوحي الإلهي في نفسه، ولا أدل على أن الوحي القرآني خارج عن ذات النبي ε وكيانه وإرادته وشعوره وتفكيره، من مخالفة القرآن في مواطن عدة لرأيه الشخصي البشري ولطبعه الخاص، يتجلى ذلك في عتابه المتسم أحياناً بالشدة في آيات من القرآن الكريم. أما ما يدعيه بعض المستشرقين من استقائه ε مادة

(1) الإسلام في وجه التغريب، الجندي، ص 242 وما بعدها.

القرآن من اليهود والنصارى الذين أسلموا، ودخلوا في دينه وصحبته فمحض افتراء، ليس له أي سند إلا مجرد ظن وتخمين، بل إن إسلام هؤلاء لحجة قاطعة، تنطق بصدق ما جاء به محمد ε من الوحي الإلهي، ولو تبين لهم أنه قد تلقى معلوماته منهم في خفاء أو غير خفاء، ثم دعا إليها لما استمروا على إسلامهم، ولكفروا به، ولعادوا إلى ما كانوا عليه من دين، وهذا ما لم يحصل قط.

أي أمي في التاريخ غير محمد ε يقطع مرحلة الشباب وديعاً هادئاً، ولم يؤثر عنه علم ولا حكمة ولا خطابة، ولا إبداع العباقرة، ولا وثبات الأبطال والزعماء، ثم يتفتح في الأربعين من عمره على عالم حيث الله يدبر النظام، ويهيمن على أسراره، فيصلح الأديان عقائدها وشرائعها وآدابها، ويحدث ثورة روحية عقدية خلقية علمية اجتماعية إصلاحية تتناول كل جوانب الحياة، لا نظيرة لها في تاريخ البشر، ألا يكون هذا دليلاً قاطعاً كافياً وحده على أن الذي غيّر مجرى حياة محمد ε إنما هو القرآن الكريم، الذي أوحاه الله إليه ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور، ولتختتم به الرسالات السماوية؟!

إن هذا القرآن من أية زاوية تلقي الأضواء عليه، فلا تجد فيه إلا أدلة ساطعة على أنه كلام رب العالمين، لكن المستشرقين قد حاروا في نبوة محمد ε حيرة المشركين إبان نزول القرآن عليه، أينسبون القرآن الموحى إليه إلى غيره، فيزعمون أنه قد اقتبسه، وأخذه من هنا وهناك؟ أم يردونه إلى ذات محمد وشخصه، فيزعمون أن ما جاء به إنما هو من بنات أفكاره وخياله، ونتائج مشاعره المرهفة؟!!

هكذا يحاول المستشرقون تشويه وتحريف الحقائق التاريخية، أو يختلقون منها ما شاءت قريحتهم أن يقدموه على أنه وقائع ووثائق علمية لا جدال فيها، مع أنها مفتريات لا صحة لها في عالم الواقع،

وفي ميدان البحث العلمي النزيه، فلا يقبلها أحد إلا المغرضين أو جهلة الناس.

[3] الأخبار والروايات الصحيحة تفيد أن الرسول ε لم يتلق من أحد قبل بعثته دروساً ولا علوماً ولا قصصاً أو أخباراً ولا بعدها، وكل الذين لقيهم لم يتصل بهم اتصالاً يمكنه من التلقي الوفير المجدى، مثل تلك اللقاءات التي جرت بينه وبين بحيرا الراهب – إن صحت الرواية – وبينه وبين ورقة بن نوفل الذي لم يكن يجيد العربية، حيث لم يسمع خلال هذه اللقاءات منهم شيئاً يتعلق بما جاء في القرآن الكريم، أما بعد الهجرة إلى المدينة فكل الذين التقى بهم وسمع منهم، كوفد نجران وبعض اليهود كعبد الله بن سلام τ وغيره فقد التقوا به في المدينة بعد ثلاثة عشر عاماً من البعثة، وكان القرآن أكثره قد نزل، وكان الرسول خلال لقاءاتهم معه يقف منهم موقف النبي المعلم الواعظ المرشد المبشر المنذر، ولم تكن هذه اللقاءات سرية بل كانت على مرأى ومسمع من الناس، كما أن الذي جاء به الرسول ε من القرآن لم يكن مشابهاً لما عندهم، إذ الفرق بين ما جاء في القرآن الكريم وبين ما جاء في الكتاب المقدس شاسع في المسائل الجوهرية والفرق واضح لا يحتاج إلى دليل.

[4] إن من يتدبر في القصص الذي اشترك في عرضه القرآن والكتاب المقدس يتجلى له الفرق واضحاً بينهما سواء في المضمون، أو في الغرض والهدف المستخلص من القصة، فقد وصف الخالق في القصص الواردة في الكتاب المقدس بما لا يجوز في حقه تعالى، ووصف الأنبياء المعصومون عليهم السلام فيه بما هم منزهون عنه، كما أن النصارى نسبوا إلى الله جل وعز ما نفاه القرآن من الأبوة، كل ذلك يدل على أن التوحيد الخالص الوارد في القرآن الكريم ليس إسرائيلياً، كما أن إجراء مقارنة بين القضايا الجوهرية المتعلقة

بالعقيدة والشريعة الواردة في القرآن والكتاب المقدس، يظهر أيضاً كذب ادعاء القائلين: إن القرآن استقى مادته منه، إذ الاختلاف بينهما في تلك القضايا لا يخفى على أحد ذي بصر وبصيرة، إلا على متغافل أو مغرض، وبذلك يتأكد لدينا ما سبق أن قلناه: إن أكثر المستشرقين لم يتوصلوا إلى تكوين فكرة صحيحة عن مصدر القرآن الحقيقي.

[5] إعجاز القرآن اللفظي والمعنوي، وميزته على سائر الكتب السماوية في أنه إلهي المصدر لفظاً ومعنى، بينما نجد في الكتب الأخرى كالعهد القديم والعهد الجديد أن الرسول هو الذي يصوغ الكلام للمعنى الموحى به إليه، ليتوجه به إلى الناس، وكذلك إعجاز القرآن الغيبي والعلمي والتشريعي... هذا الإعجاز الذي خلا عنه الكتب الأخرى، وسلامته من التناقض والتعارض والأخطاء العلمية التي لم تنج منها الكتب الأخرى. كل ذلك مما يدل دلالة قاطعة على عدم تبعية القرآن لها، وعلى أنه وحي إلهي مستقل.

يقول موريس بوكاي: القرآن مع ثراء موضوعاته خال من الأخطاء العلمية، في حين أن التوراة مع قلة موضوعاتها تضم أخطاء علمية ضخمة، مما لا يدع مجالاً للشك في أنه نص من الله سبحانه سليم موثوق به[1].

ويقول: إن القرآن يظهر لكل من يشرع في دراسته بموضوعية، وعلى ضوء العلوم طابعه الخاص، وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة، بل أكثر من ذلك يكتشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمي، من المستحيل تصور أن إنساناً في عصر محمد قد استطاع أن يؤلفها، وعلى هذا فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن[2].

---

(1) انظر: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، ص 145.

(2) المصدر السابق، ص 285.

ويردف قائلاً: إن مقارنة عديد من روايات التوراة مع روايات نفس الموضوعات في القرآن تبرز الفروق الأساسية بين دعاوى التوراة غير المقبولة علمياً وبين مقولات القرآن التي تتوافق تماماً مع المعطيات الحديثة، ولقد رأينا دليلاً على هذا من خلال روايتي الخلق والطوفان[1].

ثم يضيف: نجد فيما يتعلق بالموضوعات الواردة في التوراة والقرآن فروقاً شديدة الأهمية تدحض كل ما قيل ادعاء – ودون أدنى دليل – عن نقل محمد للتوراة[2].

[6] إقرار المستشرقين المعتدلين بأنه وحي الله تعالى، على الرغم من إنكار غالبية المستشرقين ألوهية مصدره، ونسبته إلى مصادر أجنبية وبشرية. نجد المخلصين منهم الذين يتسمون بالنزاهة والإنصاف، الذين يتجردون من الأهواء والتعصب في بحوثهم حول الموضوع، يقرون بأنه إلهي المصدر ويعترفون بأنه وحي من الله تعالى أنزله على قلب رسوله محمد ε.

المستشرق جولد زيهر مرة أخرى:

نعود مرة أخرى إلى المستشرق جولد زيهر لدحض مزاعم أخرى له في مصادر القرآن. في الحقيقة إن جولد زيهر قد فاق أقرانه من المستشرقين في القول بتعددية مصادر القرآن الكريم حيث يقول: القرآن هو الأساس الأول للدين الإسلامي، وهو كتابه المقدس، ودستوره الموحى به، وهو في مجموعه مزيج من الطوابع المختلفة اختلافاً جوهرياً، والتي طبعت كلاً من العصرين الأولين من عهد طفولة الإسلام... ويقول: وكذلك بعض عناصر القرآن المسيحية

(1) المصدر السابق، ص 286.

(2) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

نعرفها أنها وصلت إلى محمد عن طريق التقاليد أو الروايات المتواترة المحرفة، وعن ابتداعات المسيحية الشرقية القديمة، كما ينضم إلى هذا وذاك شيء من الغنوصية[1] الشرقية[2].

ويزعم أن محمداً قد أخذ يجمع ما وجده في اتصاله السطحي الناشئ عن رحلاته التجارية مهما كانت طبيعة هذا الذي وجده، ثم أفاد من هذا دون تنظيم[3].

هناك ادعاءات أخرى له حول القرآن ومصدره، إنها ادعاءات لا تستند إلى أدلة، بل باطلة جملة وتفصيلاً لافتقارها إلى إثبات صحتها وأنى له ذلك حيث لا دليل له، ولذا لا يلتفت إليها من الناحية العلمية والتاريخية.

أما ما ذكره فيما يتعلق بكون القرآن لا يتعدى مزيجاً من طوابع مختلفة مما أدى إلى وجود اختلاف وتناقض فيه، فمردود: ولو كان صادقاً فيما ادعاه لكان عليه أن يضع يده على مواضع التعارض المزعوم، لنرى هل فيه تعارض حقيقي حقاً؟!

أما نحن فجازمون بخلوه من أي تعارض، وأما ما يوحي ظاهره لغير المتأمل والمتدبر فيه وجود مثل هذا التعارض بين بعض آياته وبعض، فليس ذلك من التعارض الحقيقي في شيء عند التأمل فيه حق التأمل، وإعمال النظر الدقيق فيه، فلا يجد المتأمل المنصف أي تناقض أو أي اختلاف بالمعنى الحقيقي لهما بين آية وآية، وحقيقة واردة فيه وحقيقة، وبين هدف وآخر، وبين تشريع وتشريع، بل يجد

(1) الغنوصية: نسبة إلى "الغنوص" وهي كلمة يونانية معناها المعرفة، ثم أخذت بعد معنى اصطلاحياً وهو محاولة التوصل إلى المعارف العليا بنوع من كشف، أو محاولة تذوق المعارف الإلهية تذوقاً مباشراً بأن تلقى في النفس إلقاء. أنظر: هامش المصدر السابق، ص 25 للمعربين.

(2) العقيدة الشريعة في الإسلام، ص 22، 25.

(3) المصدر السابق، ص 25.

كله وحدة متكاملة تامة لا تدافع ولا تدابر ولا تعارض، كيف لا يكون كذلك هو تنزيل من لدن عزيز حكيم ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.

أما ادعاؤه بأنه ε اقتبس وأخذ من خلال رحلاته التجارية فباطل من الأساس – كما سبق أن بينا ذلك – حيث لم يثبت أنه ε قام بتلك الرحلات التجارية المتكررة، وكل ما أفادته الروايات إنما هو رحلتان رحلة تجارية بحتة في الخامس والعشرين من عمره، ومن خلالها لم يتصل بأحد من الرهبان أو الأحبار، ولم يكن يعرف شيئاً من أمور الدين بالشكل الذي يدعيه جولد زيهر وزملاؤه من المستشرقين والمبشرين المسيحيين، فأين تلك الرحلات التجارية المتكررة؟! ثم من الأشخاص الذين تم الاتصال بهم من خلالها؟! ثم ما المعلومات التي تمكن من اقتباسها من خلالها؟! فليأتوا بأدلة على مزاعمهم إن كانوا صادقين.

أما ادعاؤه بأن بعض عناصر القرآن المسيحية وصلت إلى الرسول عن طريق التقاليد... فباطل من أساسه هو الآخر، ومردود لسبب بيّن وهو أن من يتفحص العقيدة الواردة في القرآن الكريم تفحص إمعان ير أنه كان حرباً على هذه التقاليد والروايات القائمة على التثليث، والصلب، والتضحية من أجل خطايا البشر، وغير ذلك مما يناقض تماماً عقيدة النصارى.

هكذا رأينا أن جولد زيهر غير ملتزم الموضوعية والنزاهة في بحثه عن مصدر القرآن الكريم كما لم يلتزم في غيره ذلك بدافع الهوى والتعصب ليس إلا.

تحدث الشيخ أحمد محمد شاكر عن أمانة جولد زيهر العلمية في تعليق له على ذلك، فأثبت بطريق علمي أن جولد زيهر ممن لا يجوز قبول نقله في شيء أصلاً، لأنه يجانب الصدق والأمانة في نقله،

ويتعمد الكذب، حيث ثبت أنه قد حرّف في النقل ونسب إلى أكثر القراء قراءة شاذة، جعلها قراءة أكثرهم مع علمه بذلك[1].

المستشرق نيكلسون:

ومما قاله المستشرق نيكلسون حول القرآن: والقارئون للقرآن من الأوبيين لا تعوزهم الدهشة من اضطراب مؤلفه – وهو محمد – وعدم تماسكه في معالجة كبار المعضلات، وهو نفسه لم يكن على علم بهذه المتعارضات، كما لم يكن حجر عثرة في سبيل صحابته الذين تقبل إيمانهم الساذج القرآن على أنه كلام الله[2].

هكذا نرى نيكلسون قد وقع في الشطط الفكري نفسه، والخطأ التاريخي الذي وقع فيه أقرانه من المستشرقين كجولد زيهر وغيره، حينما زعم أن محمداً ε - هو مؤلف القرآن، وأنه ليس وحياً من الله تعالى، لذلك – وحسب زعمه – كان فيه الاضطراب والتناقض واضحين. سبق أن بينا بطلان ذلك بأدلة قاطعة، وبينا أنه لا سند ولا دليل على هذه الدعوى، وأن القائلين بذلك يجانبون الحقيقة والواقع، وأن الدافع وراء مثل هذه الادعاءات إنما هو التعصب القائم على العداء السياسي، وبذلك ابتعدوا في دراستهم عن الموضوعية والحيدة والنزاهة، والتجرد من الأهواء والميول الخاصة بهم، ونضيف إلى ذلك القول: بأن القرآن لو كان من تأليف محمد ε – كما يزعمون – لما كان هناك فرق واضح بين القرآن الكريم الذي هو وحي الله إليه بلفظه ومعناه وبين حديثه الشريف الذي لفظه منه، فلو كان القرآن من تأليفه وصياغته لما تبين للناظر فيه وفي حديثه هذا الفرق الشاسع بينهما، فأين القرآن الكريم من الحديث الشريف نظماً وأسلوباً وتعبيراً وتأثيراً؟! شتان ما بينهما!

---

(1) انظر تفصيل ذلك في دائرة المعارف الإسلامية، الترجمة العربية، ج 7، هامش ص 333.

(2) الصوفية في الإسلام، نيكلسون، ترجمة نور الدين شريبة، ص 6.

ليس في القرآن تضارب أو تعارض كما جاء في زعمه بل ﴿كتاب أحكمت آياته...﴾

يقول الأستاذ الشرباصي في معرض رده على ادعاء نيكلسون ومن نسج على منواله من أنسجة خيالاتهم: القرآن ليس كتاباً في موضوع واحد حتى يلتزم فيه ما يلتزم في الكتب الموضوعة على هذا النحو من المقدمات والتمهيدات، ثم النتائج والخواتم، ولكنه كتاب شامل لحياة الناس، يجد فيه الفيلسوف زاده، والصوفي روحانيته، والمشرع أصول قوانينه، والأخلاقي قواعد سلوكه، واللغوي فرائد بيانه، ومن هنا تنوع ما فيه من قصص، وحكم، وتشريع، وتاريخ، وكان على هذا كله متناً سقاً لا اختلاف فيه[1].

المستشرق بول كازانوفا:

من المستشرقين المغرضين من زعم أن القرآن قد أضيف إليه بعد النبي ε ما دعت إليه الحاجة فيقول في ذلك المستشرق بول كازانوفا في كتابه (محمد ونهاية العالم): إن القرآن قد أضيف إليه بعد وفاة النبي ما دعت إليه الحاجة في نظري أبي بكر وعمر، مثل الآيات التي صرحت بأن الساعة من الأمور التي استأثر الله بعلمها، بعد أن لم يتحقق ما أخبر به النبي من أنها ستقوم عندما تنتهي مهمته، وقد يكون ذلك في حياته، أو على إثر موته مباشرة[2].

ثم يحاول كازانوفا البرهنة على أن النبي كان يعتقد ذلك بإهماله أمر الخلافة بقوله: فنعلن أن السبب في إهمال أمر الخلافة بسيط، وهو أن محمداً لم يفكر في أنه سيموت، وسيترك خلفاً من بعده، بل اعتقد أن نهاية العالم قريبة، وأنه هو سيشاهدها، هذه العقيدة بقرب نهاية

---

(1) انظر: التصوف عند المستشرقين، أحمد الشرباصي، ص 27.

(2) انظر: نظرات استشراقية، د. محمد غلاب، ص 87.

العالم مسيحية محضة، ومحمد كان يقول عن نفسه: إنه نبي آخر الزمان الذي أعلن المسيح أنه سيجيء يتمم رسالته[1].

أية فكرة باطلة هذه؟! وأية شهادة زور هذه؟! أي اتهام ظالم هذا بحق رسول الإسلام وكتابه ورجاله؟!

كل ما ذهب إليه كازانوفا لا يعد وكونه من نسج خياله الفيّاض بالأوهام وتصوير ما لم يكن في عالم الواقع.

أي تجن هذا الذي ذهب إليه المستشرق على حقائق التاريخ؟! أي تجاهل هذا عن سيرة صحابة رسول الله ε، وما هم عليه من صدق وإخلاص، وإيمان وتمسك بكتاب الله تعالى، وتفان في سبيل العمل به، والحفاظ عليه كما نزل على رسول الله من أي تبديل أو تغيير أو زيادة ونقصان، ولو في حرف منه أو حركة؟!

فلا أدري كيف استجاز بول كازانوفا لنفسه اتهام أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بالقيام بإضافة ما ليس من كتاب الله إليه؟!

ألم يقرأ أو يسمع كازانوفا وأمثاله تلك الجهود الجبارة والمضنية التي بذلها أبو بكر وعمر وغيرهما من صحابة رسول الله في سبيل توثيق النص القرآني عند أول جمع للقرآن الكريم بعد وفاة رسول الله ε، وبمؤازرة كل الصحابة وعلى مرأى ومسمع منهم؟

ثم لو أقدما – أبو بكر وعمر – على شيء من هذا العمل – كما زعم كازانوفا – كيف سكت سائر الصحابة عن ذلك؟!

حقاً إن المستشرقين المغرضين يجهلون، بل ربما يتجاهلون عن حقائق التاريخ الإسلامي، وإلا كيف يسكتون عنها، ولا يبدون وجهة نظر المسلمين أنفسهم حولها؟!

(1) المصدر السابق، ص 94.

إن موقف أبي بكر وعمر الحازم من جمع القرآن كما نزل على الرسول ε بعد وفاته لموقف واضح لا لبس فيه ولا غموض، فقد حرصا كل الحرص من خلاله على الحفاظ عليه من أي زيادة أو نقصان، ولو في حرف منه أو حركة وسكون، ناهيك عن كلمة أو آية، وقد تشددا في سبيل ذلك غاية التشدد، وأخذا بالاحتياطات والإجراءات اللازمة ما يدفع أية تهمة أو شك في سلامة النص القرآني، كما نزل على الرسول وتلقاه الصحابة منه.

أما برهنة كازانوفا واستدلاله على ما ذهب إليه، من أن النبي ε لم يعين خليفة للمسلمين لاعتقاده بقرب فناء العالم ونهايته فلا ينهض ذلك دليلاً له على ما زعم في نظر العلم الصحيح، لأنه مجرد احتمال وتكهن وتخمين مرده الخيال ليس إلا، ثم أليس من القواعد المنطقية أن ما تطرق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال وسقط؟

ثم ألا يمكن أن يكون هناك دوافع أخرى لأجلها امتنع الرسول ε من تعيين إمام سياسي غير اعتقاده – كما زعم كازانوفا – بفناء العالم؟

السبب الحقيقي من وراء عدم تعيينه خليفة من بعده، هو أن الرسول ε قد أعلن منذ اللحظة الأولى من بعثته إلى آخر لحظة من حياته أنه رسول نبي، وأن مهمته ووظيفته هي إرشاد الناس إلى عقيدة التوحيد والاستقامة على دين الله، أما الرياسة السياسية والقيادة الحربية فهما من ضرورات هذه الحياة، ولم يجد الرسول بداً من تحملها مدة حياته، وترك الأمر موكولاً إلى المسلمين في ذلك لاختيار من يريدون لتحمل هذه المسؤولية.

فالرسول ε لم يكن – حاشاه طاغية أو دكتاتوراً أو ملكاً مستبداً حتى يعين ولي عهد له من بعده يفرضه على الناس فرضاً .

ثم ألم يأت القرآن الكريم بمبدأ الشورى، وأمر المسلمين الالتزام به، فقال: "وشاورهم في الأمر"، "وأمرهم شورى بينهم" فلم يسع النبي ε إلا الخضوع والامتثال لهذا الأمر الإلهي؟

وفي نظري أن عدم تسميته ε خليفة بعده مما يستدل به على نبوة محمد ε الذي تلقى الوحي من الله تعالى الذي يعلم ما فيه صلاح العباد وما فيه فسادهم، فكان في عدم تعيين خليفة من قبل رسول الله ε صلاحهم وقطع دابر الفساد والاختلاف عليهم، فها نحن نعيش في القرن الحادي والعشرين نرى ونسمع المساوئ المترتبة على الاستبداد في الحكم، والاستفراد في تعيين الرؤساء والحكام بشكل غير شورى انتخابي ودستوري.

وإني لمتأكد لو عين الرسول ε شخصاً للرياسة بعده لاتخذ المستشرقون وغيرهم من ذلك نقطة مهمة مرتكزاً أساسياً في الهجوم على الرسول ε، ولوصفوه بالتخلف في النظام السياسي.

فقد رسم رسول الله بعدم تعيين من يتولى القيادة بعده للمسلمين النظام الشوري الذي يجب عليهم اتباعه في اختيار القيادة.

ثم لو عين الرسول خليفة بعده وسماه لاتخذ من ذلك الترشيح سنة متبعة للأجيال المتلاحقة من المسلمين، ولكانت هذه السنة كارثة – إن صح التعبير – على المسلمين في المستقبل على مرور العصور، فلو رجعنا إلى عهد الخلفاء الراشدين لوجدنا تلك الفترة أبهى فترات الحكم لدى المسلمين بعد عهد النبي، ويرجع السبب في ذلك إلى ما هم كانوا عليه من اتباع نظام الشورى في اتخاذ القرارات واختيار القيادات، أما بعد ذلك فكيف تحول نظام الحكم إلى نظام ورائي، لا يزال المسلمون إلى يومنا هذا يعانون من آثار ذلك السلبية على حياتهم السياسية.

نقطة أخيرة أو ملحوظة أود ذكرها هنا وهي أن الأهم من ذلك كله هو إصلاح الفرد، فالاهتمام كان في الإسلام مذ البداية منصباً على

إصلاحه وتهذيبه وتربيته وفق ما جاء في القرآن الكريم، فإذا ما صلح هو صلح المجتمع، وإذا صلح المجتمع فمن البديهي أن لا يتولى قيادته حينئذ إلا خيار الأمة، فصلاح القيادة متوقف على صلاح المجتمع، وصلاح المجتمع متوقف على صلاح أفراده، فالرسول ε ركّز جل اهتمامه على هذا الجانب، أما الجوانب الأخرى فقد ترك شأنها للأمة فهي أخبر بشؤون دنياها.

أما ادعاؤه بأن النبي ε كان يعتقد قيام الساعة قبل وفاته أو بعد وفاته مباشرة، فادعاء باطل ولا يلتفت إليه لافتقاره إلى برهان، وأنّى له ذلك؟ بل البرهان قائم على عكس ما تخيله كازانوفا، وكيف اعتقد الرسول ذلك، واعتقاد الرسول في أمر ما من أمور الغيب إنما كان يستند إلى الوحي المنزل عليه، ولو رجعنا إلى القرآن الكريم باحثين في الآيات التي تتحدث عن قيام الساعة فلا نجد بينها ما ينص على تحديد الفترة الزمنية لقيامها، بل نجد أنها تؤكد أن علم قيامها يختص به سبحانه لا يشاركه فيه أحد، فكيف إذاً اعتقد الرسول قيامها قبل وفاته أو بعدها مباشرة ؟؟!!

إضافة إلى ذلك إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد تطرقا إلى الحياة الاجتماعية من كل جوانبها تطرقاً يستدل منه على بقاء الدنيا زمناً طويلاً، فقد جاءا بتشريع قيم عام وشامل، لا يعقل أن يكون ذلك قد شرع لمعاصري الرسول ε فقط.

ولم يكن كازانوفا وحده في ادعاء تحريف القرآن الكريم بعد وفاة الرسول ε، بل زعم جولد زيهر ومن قبله نولدكه أن اسم الرسول كان "فثم" أو "فثامه" ثم أبدل، وصار محمداً، ليصير وضع الآية (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد"[1].

---

(1) انظر: الإسلامي الجندي، ص 228.

إلى أي مدى وصل بهؤلاء المستشرقين الخيال لتحريف الحقائق والوقائع التاريخية خدمة لأغراضهم؟ التقطوا هذا الاسم مما جاء في بعض الأخبار من محاول بعد المطلب جد الرسول ε إطلاق اسم "قثم" عليه قبل اختيار اسم "محمد" له، فجعلوا المحاولة حقيقة، ولو كان الأمر كما زعموا لكان أعداء الرسول ε من المشركين واليهود والمنافقين أول من أذاعوا ذلك بين الناس، وهذا ما لم يحصل.

قائمة المصادر

[1] القرآن الكريم.

[2] أتيين (ناصر الدين) دينيه، أشعة خاصة بنور الإسلام، ترجمة راشد رستم (القاهرة: المطبعة الكمالية).

[3] أجناس جولد زيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة مجوعة من الأساتذة (مصر: دار الكتب الحديثة، ط3).

[4] ابن قتيبة: الشعر والشعراء (مصر: 1364هـ).

[5] ابن كثير: الفصول من سيرة الرسول (بغداد: مكتبة الشرق الجديد، مطبعة منير).

[6] ألفريد جيوم: الإسلام، ترجمة محمد مصطفى هداره ود. شوقي اليماني (مصر: مكتبة النهضة، ط1، 1958م).

[7] أنور الجندي: الإسلام في وجه التغريب (القاهرة: دار الاعتصام).

[8] بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي (دار العلم للملايين، ط7، 1977م).

[9] البستاني، فؤاد أفرم: دائرة المعارف (بيروت-لبنان، 1965م).

[10] بلاشير: كتاب "القرآن" نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1974م).
[11] د. تسدال سنكلير: تنوير الأفهام في مصادر الإسلام (مصر: المكتبة الإنكليزية).
[12] د. التهامي نقرة: سيكلوجية القصة في القرآن (الشركة التونسية للتوزيع، ط2).
[13] دائرة المعارف الإسلامية، مجموعة من المستشرقين، النسخة العربية (القاهرة: دار الشعب).
[14] الرازي، فخر الدين: عصمة الأنبياء (بغداد: طبع الدار العربية، ط1، 1990م).
[15] سيرة ابن هشام، تحقيق مجموعة من الأساتذة (دار إحياء التراث العربي، ط3، 1971م).
[16] الشرباصي، أحمد: التصوف عند المستشرقين (القاهرة: مطبعة نور الأمل، 1961م).
[17] الشهرستاني، هبة الدين: المعجزة الخالدة (الطبعة الثانية).
[18] طه حسين: في الأدب الجاهلي (مصر: دار المعارف، ط9، 1968م).
[19] د. عبد الجليل شلبي: الإسلام والمستشرقون (القاهرة: مطابع الشعب).
[20] العسقلاني، ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة (مصر: مطبعة السعادة، ط1، 1328هـ).
[21] كارلايل: الأبطال، ترجمة محمد السباعي (الدار القومية للطباعة والنشر، المؤسسة المصرية العامة للنشر والطباعة).

[22] الكتاب المقدس، النسخة العربية (دار الكتاب المقدس في العالم العربي.
[23] لورا فاجليرى: تفسير الإسلام، ترجمة أحمد أمين عز العرب (القاهرة: مطبعة دار الجهاد، 1959م).
[24] د. محمد عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم، ترجة د. عبد الحليم النجار (بيروت- لبنان، ط3، 1974م).
[25] د. محمد غلاب: نظرات استشراقية في الإسلام (القاهرة: دار الكاتب العربي).
[26] د.محمود حمدي زقزوق: الإسلام في الفكر العربي (الكويت: دار القلم، ط2، 1981م).
[27] ـــــــ: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (قطر: ط1، 1404هـ).
[28] مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج).
[29] موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة (بيروت: دار المعارف).
[30] نيكلسون: الصوفية في الإسلام، ترجمة نور الدين شربية (مصر: مكتبة الخانجي، 1951م).